بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 13 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:30\11\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام في بعض دلالات قوله تعالى: ﴿إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ وتوقفنا في البحث الأخير في المقابلة بين اسم الفاعل شاكراً وبين صيغة المبالغة كفوراً، وعرفنا أن البعض برر ذلك بأمر لفظي لتناسب الفواصل، وهذا لا نقبله.

والصحيح في المقام أن يقال إن كفران النعمة في قبال شكرها في الأعم الأغلب لا يخلو منه إنسان ولو في آن ما أو في نعمة ما إلا من عصم الله جل جلاله. فإذاً ما يترتب عليه الآثار الآتية من قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعيرا﴾ ليس مجرد كفر النعمة في آن ما ولمرة واحدة، بل من اعتاد على ذلك، فلذا ناسب أن نستعمل صيغة المبالغة، المبالغة هنا لها هدف زائد على مجرد التناسب اللفظي، لو قابل شاكراً بقوله كافراً هذا يصدق ولو على مرة واحدة، وهذا الغالب في الإنسان أنه كذلك، في آن ما في حياته وفي مرة واحدة حياته وفي نعمة واحدة لا يخلو إنسان في العادة منه إلا من عصم الله تبارك وتعالى.

فأرادت الآية الشريفة أن تبين أن الآثار التي سوف تترتب على هذا الانقسام تترتب عليه فيما لو وصل إلى حالة الاعتياد على كفران النعمة، فناسب أن يستعمل صيغة المبالغة. بهذا يتم الكلام في تفسير الآية الثالثة.

خلاصة البحث المجموعي النهائي في هذه الآية المباركة: أن هناك خلق بمعنى المخلوق ينتسب إلى الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسان﴾ وكل ما أفيض عليه بنعمة الوجود وإن كان ينتسب إلى الخالق، لكن إنما خص هذا المخلوق لكونه هو العمدة في إقامة المشروع الإلهي على هذه الأرض ﴿إِنِّي

جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] هذا المشروع الإلهي في هذه الأرض ركنه الأساس هو الإنسان، لأجل ذلك خصه.

ولم يكتف الباري تبارك وتعالى بمجرد خلقه وإخراجه من حيز الإغفال وعدم الذكر إلى حيز الوجود والذكر، بل غرز فيه وأودع فيه وسائل وأدوات العلم والمعرفة، فجعله سميعاً بصيراً. ولم يكتف بذلك، بل يسر له الهداية بكلا قسميها الهداية الفطرية والهداية بدعوة الأنبياء وبوجود الشواهد والدلائل. ولم يجبره في انتخاب الطريق، بل بيّن له طريق الخير وطريق الشر، وهذه نعمة كبرى في حق هذا المخلوق الإنساني.

المفترض في الآية نقف عند كلمة الشكر، ولكن بحثتها في تفسير سورة لقمان بشكل مفصل، وكان خلاصة البحث أن الشكر الذي يقصد من هذه الآيات المباركة في القرآن الكريم هو التفعيل ما خولنا به الباري تبارك وتعالى، كما تقدم الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْرا﴾[2] ولم يقل قولوا شكراً فالشكر الحقيقي هو تفعيل تلك الاستعدادات التي أودعها بنا الله تبارك وتعالى، والتي ترجع إلى الطاعة.

الآية الرابعة قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرا﴾

نقف بداية عند البحث السياقي، بعد أن بينت الآيات المباركة ما تقدم مباشرة ذكر العذاب، ما هو ربط هذه الآية بالآيات السابقة؟

في الواقع الترابط بين هذه الآية والآيات السابقة ما زال قائماً وثابتاً، فإن الآيات السابقة فيها مجموعة من الاستشعارات واللمسات، بدءاً من لمسة بيّنت أنك أيها مر عليك حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً، كنت مغفولاً عنك، لم يكن يقال لك إنسان، كنت طيناً وترابا، فانعم عليك الباري تبارك وتعالى بأن خلقك فسواك فقدرك، فخلقك من شيء ضعيف حقير من نطفة أمشاج، لتأتي اللمسة الثانية ويضعك أيها الإنسان على مسرح الابتلاء، وهذه نعمة أخرى، الامتحان وإن كان صعباً إلا أنه نعمة، لتأتي لمسة ثالثة تبين أن هذا المشروع الإلهي الذي عنوانه الابتلاء أودعت في الإنسان هذا المخلوق

---

[1] البقرة: 30
[2] سبأ: 13

الضعيف ما يعطيه الاستعدادات للنجاح في هذا الابتلاء، فجعلناه سميعاً بصيراً، لتأتي اللمسة الرابعة، قلم نكتف بذلك، فأنرنا له الطريق، فعلى الرغم من كل ذلك انقسم هذا الإنسان بالنسبة للمشروع الإلهي إلى فرقتين شاكراً وكفوراً، فأراد الباري تبارك وتعالى في هذه الآية المباركة وما بعدها أن يصور لنا عاقبة كل واحد من هاتين الفرقتين.

فجاء على طريقة اللف والنشر المشوش، وبيّن العاقبة؛ لأنه قدم عاقبة الكفور على عاقبة الشاكر، والشيء الملفت الذي سوف نقف عنده إن شاء الله أنه في عاقبة الكفور أجمل وفي عاقبة الشاكر فصل وأطنب.